مجلة الشهاب • المجلد: 08، العدد: 03 (2022م) • ص ص 533 – 544
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

مقاربة أخلاقية إنسانية عالمية للحوار و السَّلام في ضوء "حوار الأديان"

A global human morality for dialogue and peace in the light of "interfaith dialogue "

أ. د/ لزهر خديجة *
كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1 (الجزائر)
lazhar_kh@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/03/30 | تاريخ القبول: 2022/11/02 | تاريخ النشر: 2022/11/12

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: تختص هذه الدِّراسة بالكشف عن ضرورة التعايش المستمر في ضوء صناعة مقاربة أخلاقية عالمية للحوار والسلام لمختلف الشعوب والحضارات مما يشكل مصدرا للتفاهم في ظل حوار الأديان، ونشر السلام، لتصدي والحد من تلك الاحتكاكات الحادة والمتسارعة التي خلقت وعيا هوياتيا عميقا لدى مختلف الأفراد والشعوب وهذا ما يدفعهم للرجوع إلى ثقافاتهم ودياناتهم لتأكيد ذاتهم وخصوصياتهم الثقافية بإمكانه أن يسمح بالتخلص من انغلاق العالم على نفسه كل ذلك وفق رؤية جديدة لحوار الأديان.

توصل البحث فيها إلى أنَّ مركزية الأخلاق العالمية فكر ديناميكي قادر على التفكير في وحدة المتعدد وتعدد ما هو موحد، في ظل حوار الأديان يدعو إلى أنَّ الوحدة لم تعد تعني التجانس والتنوع لا يعني الانغلاق على الذات ونفي وحدة الجنس البشري، والإنسانية لن تكون موحدة إلا في ظل احترام التعدد و التنوع، كما لا يمكن للتنوع أن يكون مثمراً إلا في ظل حد أدنى من الحوار الديني الهادئ وفق مرجعية وسطية نحو نسق الانسجام والوحدة كل ذلك بالحوار الأخلاقي.

الكلمات المفتاحية: أخلاقية عالمية ؛ حوار الأديان؛ السلام؛ التعايش ؛ وسطية.

Abstract : This study aims to reveal the necessity of continuous coexistence in the light of creating a global ethical approach to dialogue for different peoples and civilizations, which constitutes a source of understanding and spreading peace within the framework of interfaith dialogue, in order to confront and reduce those acute and accelerated frictions that created a deep identity awareness among different individuals and peoples, The research concluded that the centrality of global ethics is a dynamic thought capable of thinking about the unity of the multi and the multiplicity of what is unified, , and humanity will not be united except in There is respect for diversity and diversity, and diversity cannot be fruitful except in the light of a minimum of calm religious dialogue according to a middle reference towards a pattern of harmony and unity.

Keywords: global moral; Interfaith Dialogue; Peace ;coexistence; average.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

إن التفاعل والتواصل بين الثقافات ظاهرة إنسانية متأصلة في التاريخ الإنساني، وعلينا أن نبدأ بترسيخ قيم الحوار والتسامح الديني والثقافي داخل مختلف التقاليد الثقافية والدينية وداخل مختلف الأنظمة التربوية، ليتحول إلى سلوك فردي وجماعي داخل الأسرة، بين الأفراد، وبين الجماعات وبين الأمم والشعوب، فالحوار الثقافي والديني عملية متعددة الأبعاد، مسار للبناء المستمر، يتطلب المثابرة والنفس الطويل، وينبغي اليوم تطوير بيداغوجية جديدة ترسي لثقافة السلام قصد البحث عن أفضل السبل لكيفية التصرف بحكمة وتوازن أثناء التوترات والأزمات وبشكل يؤدي إلى امتصاص العنف والحد من نزعات التطرف، هذا ما يفرض التفكير بحس نقدي في آليات تشكيل صورة الآخر، وفي التصور المانيكياني الذي يدفع إلى اعتبار أن الأشرار دائما هم الآخرون الذين لا يتقاسمون معنا الانتماء، وكذا مراجعة نزعة الاختزال والتبسيط والتعميم التي تسعى إلى نزع الطابع الإنساني عن ثقافات وجماعات وشعوب بأكملها وتحميلها مسؤولية أفعال وأعمال مشينة يرتكبها أفراد ومجموعات ينتمون إليها.

والحق أنه في ظل ما يعيشه العالم اليوم من صراعات بين الجهالات، ومن حروب مفروضة على عدد من الشعوب، ومن مواجهات صدامية بين القوى الكبرى، تزداد أهمية حوار الأديان بين الثقافات وأتباع الأديان وفق أخلاقية عالمية، باعتباره أداةً تسهم في نشر الوعي السليم للحدّ من تداعيات هذه الصراعات والتوترات التي تهدّد استقرار المجتمعات البشرية، وتؤجّج الأزمات الإقليمية والدولية وتُخِلُّ بالسلام العالمي، وتؤثر سلباً على تنمية الشعوب وعلى الجهود الإنمائية الدولية التي تبذل في مجال محاربة الفقر والمرض والجهل.

فليس الحوار بين الثقافات وأتباع الأديان عمليةً تفاعليةً ثقافيةً فحسب، ولكنه منهجٌ قويمٌ للحياة الآمنة المستقرة، وأسلوبٌ راقٍ للعيش المشترك، يؤدّيان إلى توفير مناخ عام تَتَقَارَبُ فيه الاتجاهات الثقافية والسمات الحضارية، ويتفاهم فيه المتحاورون في أجواء من التسامح، للعودة بالأديان إلى أصولها التي تقوم على الإيمان بالخالق، سبحانه وتعالى، ربّ العالمين، الذي من أسمائه الحسنى ''السلام''، وعلى مكارم الأخلاق، وعلى المبادئ السَّامية التي تُعلي من قيمة الإنسان، وتحترم كرامته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾. فالكرامة إنعامٌ من الله، عزَّ وجلَّ، للبشر كافة، لا تمييز بينهم في اللون واللغة والدين، والحوار بهذا الاعتبار، وبهذا المعنى العميق، ليس مسألة ثقافية وأخلاقية فقط، وإنْ كان هو من فضائل الأخلاق، ولكنه إلى ذلك، مسألة سياسية بالدرجة الأولى، بالمفهوم الرشيد للسياسة التي تبني الوئام، وتصنع السلام، وتَتَجَاوَزُ الخلافات، وتتغلب على النزاعات، وتمهد السبيل أمام إقامة الدعائم للتعايش الإنساني الخلاّق. ولذلك كان الحوار الجادّ والمثمر والهادف، يتطلب إرادةً سياسيةً واعية، فلا يكون مبادرةً لا ضوابط لها تتمّ خارج التوجّه السياسي المسؤول، حتى يكتسب الحوار قيمتَه المثلى وتكون له أهميتُه البالغة.

إشكالية الدراسة: من هنا جاء التأكيد على ضرورة تعزيز قيم الحوار بين الثقافات وأتباع الأديان، في شكل مستمر وفق أخلاقية عالمية من خلال عقد المؤتمرات الدولية، وتنظيم الندوات الإقليمية، وإقامة الحلقات الدراسية التي تتناول قضايا الحوار الثقافي والديني، بمفهومه العام ومدلوله الشامل، ومن جوانبه كافة، ومثال ذلك كخطوة ملموسة مؤتمرُ فاس الدوليُّ مثلاً، الذي استضافته الجامعة الأورو- متوسطية، في تلك المدينة التاريخية التي صارت منذ أزمنة بعيدة، منتدًى للحوار بين الثقافات والحضارات والتعايش والوئام بين الأمم والشعوب، وأمام الصعود القوي لدعاة التطرف الديني والفكري.

- يجيب البحث عن استراتيجيات جديدة لتحويل دياناتنا وثقافاتنا إلى منابع للحب، والتضامن والحوار البناء بين الشعوب وفق حوار الأديان ضمن منظومة أخلاقية عالمية؟ .

- ما هي السُّبل لتحقيق تواصل حقيقي والثقافات لامتصاص التطرف و العنف الفكري بمختلف أشكاله ضمن نسق حوار الأديان؟ ومع تزايد التحديات والرهانات العالمية التي تعيشها الإنسانية عند بداية القرن الحادي والعشرين، ألسنا في حاجة إلى أخلاقية كونية تشترك فيها كل الأديان والثقافات والشعوب وفق جوار الأديان ؟.

ومن خلال الإجابة عن التساؤلات التي تطرحها هذه الدراسة، نؤكد الأهداف التي ترنو إليها منها العلمية والمنهجية، في الإشارات والتحليلات التصويبات من خلال التنوع الثقافي في ظل المشترك الإنساني، كما أن حوار الأديان وفق آفاقه ونسقه ينتهي بنا إلى نقلة نوعية ومقاربة أخلاقية إنسانية فلسفية عالمية لحوار الثقافات، وفق مبادئه، ومراميه، والذي نعمل جاهدين على شرح وتمحيصه، مستعملين في ذلك مناهج علمية متكاملة أبرزها المنهج الاستقرائي والتحليلي، وكذلك المنهج الاستنباطي الذي استخدمنه مصاحباً للتحليلي في تفكيك مفاهيم التنوع الثقافي وتذليلها، لإحداث مقاربات أخلاقية إنسانية عالمية للحوار و السَّلام.

2. التنوع الثقافي في ظل حضارة إنسانية واحدة

التنوع الثقافي ليس وليد تحرير فلسفي، بحيث إن الفلاسفة قاموا بالتنظير له، ثم نزل إلى شارع الناس ليتمثلوه، بل هو قد نشأ من البشر ذاتهم، أولاً بصفتهم الفردية، وإن كانوا يعيشون في مجموعات أو مجتمعات، فالإنسان كائن بحكم جبلّته لديه القدرة بأن يكون مختلفاً، والاختلاف هو سر عمران الوجود، فالحيوانات منذ وجدت تعيش في حالة رتيبة، لا يكاد تجد بين مجاميعها المتباعدة فرقاً، إلا بحكم تأثير التنوع البيئي عليها، أما الإنسان فقد أبدع في مسكنه، وتنوع في ملبسه، واختلف في مأكله، وتفنن في طرق عيشه، وقد تداولته الفضائل والرذائل بين أطرافها، فهو ما بين إنسان رحيم إلى وحش كاسر، ومن شخص موادع إلى فارس محارب، ومن سيد مهاب الجانب إلى عبد مستضعف، وقد تعددت رغباته، وتنوعت آماله، واكتنف الفضول حياته، وكلما صعد في التحضر درجة انفتح له من الحاجات ما لا يحصى عدده من أداء طرائقها، كل ذلك جعل منه كائناً يحكي قصة التنوع الثقافي[1].

إن الإنسانية اليوم تتطور في ظل حضارة عالمية واحدة تتميز بالتعدد الثقافي ولا يمكن الحديث عن صراع بين الحضارات فالعالم يتجه لكي يصبح موحد الحضارة في ظل ثقافات متعددة تتفاعل وتتجاور فيما بينها بشكل يومي، العالم يعيش على وتيرة من التمازجات والتشابكات، ولا توجد ثقافات موحدة منسجمة تعيش في فضاءات ثقافية متمايزة في العالم المعاصر، والاندماج العالمي الذي خلقته الثورة الاقتصادية والإعلامية في ظل ما أصبح يعرف بالعولمة، حرك عملية التفاعل والاحتكاك الثقافي بشكل سريع وتعسفي أحيانا، مما أحدث تحولات جذرية وتوترات ثقافية، نتيجة صعوبة إدراك واستيعاب قيم المنظومات الثقافية للآخر من جهة، ونتيجة للاستعلاء الثقافي والتمركز الذاتي والذي يحول دون الاعتراف بالحق في الاختلاف الثقافي من جهة أخرى، وهذا ما فتح الباب لشعور عدة فضاءات ثقافية غير غربية بضرورة "مواجهة" المد الثقافي الغربي، وذلك عبر التمركز حول "الأصول" و"الخصوصيات الثقافية" كسلاح ورد فعل ضد موجة التغريب الكاسحة، كما أنَّ الهوة الشاسعة بين الشمال والجنوب على كافة المستويات، جعلت الشعوب الفقيرة تحتمي بالعوالم الثقافية لإثبات الذات والتعبير عن عدم رضاها واستنكارها للحيف والتخلف وعن قلقها من المستقبل الغامض، ومن هنا فإن استيقاظ وانتعاش الثقافات المحيطة هو سلاح الفقراء للاحتجاج ضد الاختلالات الاجتماعية العالمية وضد الآثار السلبية للعولمة.

لقد فرضت العولمة ضرورة التعايش المستمر لمختلف الشعوب والحضارات مما يشكل مصدرا للتفاهم والصراع في آن واحد، الاحتكاكات الحادة والمتسارعة خلقت وعيا هوياتيا عميقا لدى مختلف الأفراد والشعوب وهذا ما يدفعهم للرجوع إلى ثقافاتهم ودياناتهم لتأكيد ذاتهم وخصوصياتهم الثقافية، وثمة منظور ينطلق من رؤية مركزية ذاتية للدفاع عن ثقافة عالمية واحدة هي المرجع والمحور لكل الشعوب، وإقصاء وتهميش الثقافات المحلية باسم العولمة التي خلقت انقلابا كاملا في القيم والعادات والأفكار داخل هذه الثقافات، وفقط تكريس التعددية الثقافية بإمكانه أن يسمح بالتخلص من انغلاق العالم على نفسه، وإذا تم تنميط أفكارنا وتأحيد رؤانا لن يكون هناك لا تاريخ ولا أمل في التغيير نحو الأفضل[2].

لقد دخلنا على ما يبدو عصر اللاستقرار بحيث أن الإنسان أضحى كمن يسبح في محيط من اللايقين لا توجد فيه إلا جزر صغيرة من المعنى واليقين، وهذا ما فتح المجال في المجتمعات الإنسانية لكثرة المخاوف من المستقبل، وما أن تكثر المخاوف حتى تنتعش التطرفات الدينية، الإثنية والسياسية واللاعقلانيات، وذلك بفعل ما يسمى بهاجس المستقبل، كما أن انتشار التيارات العلموية، واكتساح العقلنة المفرطة لكل الفضاءات الفكرية، العلمية، الاجتماعية... قد خلق قلقاً عميقاً، لذلك صرح آدام مشنك: "إني خائف من عالم قد تحكمه عقلانية بدون حدود وثقافة بدون مقدس، لأن ذلك معناه عالم بلا أخلاقية وبلا ثقافة"[3].

إن العولمة بقدر ما تشكل فرصة فريدة للتواصل والتفاهم بين مختلف البشر والثقافات بقدر ما تحمل في ذاتها جانبا مدمرا يكمن في توحيد الهويات وإقصاء التنوع الثقافي وغلق باب الحوار الواسع، ولذلك انتعشت تيارات الانكفاء على الهوية والانغلاق القومي والديني، والمأزق اليوم كما يطرحه عالم الاجتماع

الفرنسي ألان توران هو: "كيف نتخلص من الخيار الصعب بين عولمة كونية خادعة تغفل تنوع الثقافات، والواقع المنغلق للجماعات المتقوقعة على ذاتها"[4]، والانكفاء الهوياتي، وكذا الدفاع المتعصب عن العولمة كلاهما يشكلان خطراً قد يؤدي إلى انسداد الآفاق الإنسانية.

لهذا ينبغي إبداع فكر ديناميكي قادر على التفكير في وحدة المتعدد وتعدد ما هو موحد، حيث أنه عادة عند رؤية الوحدة تكون هناك إرادة لتأحيد كل شيء ويتم تجاهل التنوع، وعندما يكون هناك تعدد يتم استبعاد أي وحدة وتجانس، فثمة جدلية بين التعدد والتوحد، فهناك تعدد وتنوع ثقافي وإنساني ولكنه قائم على وجود جوهر إنساني وأخلاقي مشترك بين الإنسانية في مجموعها، إن الوحدة لم تعد تعني التجانس والتنوع لا يعني الانغلاق على الذات ونفي وحدة الجنس البشري، والإنسانية لن تكون موحدة إلا في ظل احترام التعدد و التنوع، كما لا يمكن للتنوع أن يكون مثمرا إلا في ظل حد أدنى من الانسجام والوحدة[5]، ولإرساء التضامن وتأحيد العالم دون السقوط في البلقنة والانطواء على الهويات العرقية و الدينية، ينبغي الترسيخ العميق في الوعي الإنساني لحقيقة أن الأرض هي وطن للجميع في ظل وحدة الإنسانية، وهذا هو السبيل للحد من المشاكل المتشابكة والمعقدة التي تواجه العالم[6]، يقول إدغار موران: "نحن ضائعون في الكون الهائل، ولكن لنا بيت وحديقة نستطيع العناية بهما، والحديقة هي الإنسانية جمعاء ...إنها الأرض، لنكن إخوة ليس لأننا سننجو بل لأننا ضائعون جميعا"[7]، لقد أصبح من اللازم ترسيخ وعي إنساني تضامني في كل الفضاءات الثقافية والأنظمة التربوية، فأي شيء يحدث في جزء من العالم يؤثر على الكوكب كله سلبيا أو إيجابيا، وأية متغيرات محلية تتبادل بشكل متزايد التأثير والتأثر مع السياق العالمي كله، وما ينقص العالم اليوم هو الوعي المشترك بالانتماء إلى الأرض كوطن للجميع، فالشعور بكوننا مواطنون ننتمي إلى نفس العالم / الوطن مازال في مرحلته الجنينية[8].

إذن هناك حتمية للاتصال و التفاعل بين مختلف الحضارات والثقافات على اعتبار أن التبادل الحضاري ظاهرة إنسانية متأصلة في التاريخ الإنساني، ومن هنا ضرورة إرساء تواصل حي ودائم ومثمر بين مختلف الخصوصيات الثقافية حتى يصبح العالم موطنا رحبا للجميع، وحتمية الاتصال لا تعني انمحاء الخصوصيات الثقافية وذوبانها للتوحد في حضارة عالمية واحدة، والميل القوي والمتسارع لتكريس هيمنة حضارة واحدة قد يؤدي على المستوى البعيد إلى عدم إمكانية التواصل والتفاعل البيوثقافي، لذلك لابد من ترك مساحة للخصوصيات الثقافية لمختلف الشعوب قصد بناء حضارة إنسانية مشتركة، جدلية العالمية والخصوصية أمر حيوي في الوضع الراهن، فالعالمية الحقيقية لا يمكن أن تكون إلا في ظل احترام التنوع الثقافي للشعوب، كما أن الخصوصيات الثقافية لا يمكن أن تثمر إلا في ظل الإيمان بوجود مبادئ إنسانية مشتركة وفق حوار أنساني أخلاقي عالمي ديني، لهذا علينا أن نعطي الأولوية لما هو مشترك لنشكل هوية مشتركة في ظل احترام التنوع، فاليوم كل الكيانات الثقافية هي كيانات متعددة الهوية والإنسان سيصبح أكثر فأكثر متعدد الانتماءات والهويات، لذلك "فإن البحث عن أصل واحد وجوهر واحد يؤدي ليس فقط إلى

تخريب الثقافة، بل إلى أخطر الأصوليات"[9].

3. نحو أخلاقية إنسانية عالمية لحوار الثقافات في ضوء حوار الأديان :

إن الصراعات عادة ما تندلع نتيجة سوء الفهم والخوف وانعدام الثقة بين مختلف الثقافات، وإذا كانت السلع والمعلومات تنتقل بين الدول والشعوب فإن تبادلا حقيقيا للأفكار وتغييرا عميقا للعقليات وإسقاطا فعليا للحواجز الثقافية بين الشعوب والأفراد يفترض الكثير من الوقت والمثابرة وإبداع آليات جديدة لإرساء أخلاقية إنسانية عالمية للتواصل بين مختلف الثقافات والديانات، وفي عصرنا لم يعد لنا خيار إلا بين الصراع الشامل المتبادل أو الحوار، وادعاء ثقافة ما امتلاك الحقيقة المطلقة هو بمثابة أسوء الأخطار[10]، ولا يمكن تسوية الخلافات الثقافية إذا لم تكن لدى جميع الأطراف المعنية، القدرة على الإقرار وتسليط الأضواء على الأسباب والجذور العميقة التي خلقت وغذت هذه الخلافات[11]، ثمة مجموعة قيم إنسانية أساسية مشتركة بين كل الفضاءات الثقافية والدينية في العالم، وينبغي استثمارها والتركيز عليها لتكريس وحدة الإنسانية، إن قيما مثل : العدالة، رفض العنف، رفض الظلم، الإيثار، المساواة، التسامح، التعاون، المحبة... وأحاسيس مثل السعادة، المعاناة، الألم، الإحباط، الغبن، الرأفة، الرحمة هي جزء من إنسانية كل إنسان، ولذلك فالجوهر الإنساني حاضر في كل التقاليد الثقافية والدينية لكل الشعوب عبر التاريخ الطويل للإنسانية، وبالتالي لا يمكن للإنسانية العيش والبقاء بدون أخلاقية عالمية تكرس التسامح ونبذ الإرهاب والتطرف بكل أشكاله، ونحن في أمس الحاجة اليوم إلى إيكولوجيا ثقافية لتحويل ثقافاتنا وأديانا إلى ركائز للتنمية والتضامن والمسؤولية الجماعية لبناء أفق مشترك للإنسانية جمعاء.

إن الأمر أصبح يتطلب إرساء براديغم جديد للتراضي والتوافق بين مختلف الهويات الحضارية وإنشاء سوسيولوجيا لتفعيل التواصل الإنساني عبر مختلف الفضاءات الإعلامية، السياسية، الاقتصادية، وقد سبق للفيلسوف الفرنسي روجي غارودي أن دافع في أواخر السبعينات عن ضرورة قيام حوار بين الحضارات لتحقيق السلام العالمي، وقد اعتبر أن" فكرة حوار الحضارات" تحارب التقوقع حول الأنا الضيقة و تركز اهتمامها على الحقيقة الفعلية للأنا، باعتبارها قبل كل شيء علاقة مع الآخر وعلاقة مع الكل"[12]. كما أكد المفكر المغربي المهدي المنجرة على أن رهان التنوع الثقافي هو مفتاح البقاء مستقبلا[13]، و لابد من الدعوة إلى إرساء أخلاقيات عالمية جديدة، ذلك إن مستقبلنا أصبح يتوقف على إحساسنا بالاحترام المتبادل والمسؤولية المشتركة والتضامن الفعال لإقامة علاقات دولية أساسها العدل، التكافؤ والتعاون الدولي لإيجاد حلول للرهانات التي تواجهها الإنسانية.

ويبدو أن إرساء حوار الأديان حقيقي بين الأفراد، الشعوب والحضارات وبين الشمال والجنوب يفترض الإيمان بمجموعة وفق حوار الأديان مبادئ أساسية، كما يتفق المهتمون بالحوار بين الحضارات والأديان على أهمية مواصلة الجهود لتقريب وجهات النظر وتصحيح الصور النمطية السلبية بين مختلف الأطراف لنزع فتيل التوتر العالمي والالتفاف حول القواسم المشتركة التي تضمن للجميع الحرية والأمن

ويتشكل بها :

-أ- التواضع: إن التكبر واعتقاد امتلاك الحقيقة المطلقة و تمثيل الخير المطلق لا يساهم في تشجيع الحوار بل يؤجج الحقد والعداء، ومنطق "الأنا ضد الباقي" منطق شوفيني إقصائي يرفض الاعتراف بحقيقة التكامل والاعتماد المتبادل بين كل شعوب العالم، وسياسة استعمال القوة لحل مختلف الأزمات، سياسية لا أفق لها ولا تنتج إلا مزيدا من الصراعات والتوترات، لهذا ينبغي أن يتعلم الأفراد والشعوب قيم التواضع والتسامح واللجوء للحلول السياسية للتمكن من التواصل والتفاهم والتعايش.

- ب-الرأفة: أي الإحساس بآلام ومآسي الآخرين والتعاطف معها، وهذا هو المنطلق للوعي بإنسانيتنا، أي بكون أنه رغم كل الاختلافات الحقيقية المتواجدة بين الأفراد في العالم بأكمله، إلا أن كل منا يسكن ذوات ودواخل الآخرين الذين يشاركوننا في إنسانيتنا[14]، وعلينا أن نمتلك القوة الأخلاقية الإنسانية، والقدرة النفسية لكي نضع أنفسنا في مكان الأفراد والشعوب التي تعاني من عدة مآسي، وذلك لنحس بما يشعرونه ونفهم معاناتهم وإحباطا تهم من الداخل وبشكل يجعلنا نعي بأن معاناتهم تعنينا بشكل مباشر، وتهدد إنسانيتنا، والقاعدة الذهبية في هذا الموقف هي:" لا تعامل الغير بغير ما تريد أن يعاملك الغير بمثله".

وهذا ما عبر عنه الفيلسوف ورجل الدين اليهودي موسى ابن ميمون بقوله:" لا تتعامل باللامبالاة مع ما يهدد الآخرين"، والدين الإسلامي يؤكد على قاعدة" أحب لغيرك ما تحب لنفسك"، قال الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، كما أنَّ الدين المسيحي يدعو إلى مبدأ :" أحب لمن سيأتي بعدك ما تحب لنفسك"، يقول في هذا الإطار عالم النفس الألماني إريك فروم:" فكرة "لا تعامل الغير بما لا تريد أن تعامل به"، تشكل مبدأ أساسيا للأخلاق، لكن من الأفضل أن نقول:" إن ما تفعله من سوء للغير، هو كما لو أنك تفعله لنفسك ولإنسانيتك"[15].

-ج- الرضى والحب: قبل كل شيء على الأفراد أن يتمكنوا من الرضى عن أنفسهم وحب ذواتهم قبل أن يحبوا الآخرين، فلا يمكن لمن هو غير راض على حياته الشخصية وغير واثق في مؤهلاته وغير مستمتع بحريته أن تتفتح شخصيته لحب الآخرين والتعاون والتجاور معهم، لذلك ينبغي تنمية مؤهلاتنا بالقدرة على الحب: حب الحياة، حب الغير، حب العمل، حب الخير، حب الحقيقة والمعرفة وحب الإنسانية[16].

-د- التعايش والتسامح: واقع العولمة وتزايد الاحتكاكات والتفاعلات الثقافية بين مختلف الأفراد والشعوب بفعل ثورة الاتصالات وتزايد حركات الهجرة خلق ديناميات اجتماعية دولية جديدة أساسها تراجع الأحادية الثقافية لصالح تصاعد واقع التنوع الاجتماعي والتعدد الثقافي، وهذا ما أصبح يفرض على مختلف المجتمعات الإنسانية تعلم التسامح والتعايش السلمي على المستوى الثقافي والديني بين مختلف الأفراد، الجماعات والشعوب[17].

-هـ- الحوار الداخلي: انَّ الحوار لا ينبغي أن يكون ترفاً زائداً مخصصا للمنتديات والمؤتمرات، فعليه

أن يتحول إلى حاجة أساسية لا تهم فقط العلاقات بين الحضارات والشعوب والدول بل تشمل المجتمعات من داخلها، فمن العبث التفكير في حوار الثقافات إذا لم يكن هناك حوار داخل الثقافات والديانات والمجتمعات[18]، من المهم في الحياة اليومية محاورة الذات، ومساءلتها من جهة وفتح الحوار بين أفراد المجتمع ومكوناته الثقافية والسياسية من جهة أخرى، وبهذا يتحول الحوار إلى سلوك يومي يقي المجتمعات من التعصب ويحول دون اللجوء إلى العنف لتسوية الاختلافات.

-و- الإيمان بقوة السلم : على الإنسان الإيمان بقدرته على إدارة الصراعات وتحقيق السلم، والتحرر من النظرة التشاؤمية التي ترى في الصراع حتمية تاريخية تحكم الإنسان منذ القدم. وكما أوضح ذلك بيان إشبيلية حول العنف سنة 1986 والذي صاغه مجموعة علماء من مختلف التخصصات، فإن "السلام ممكن والحرب ليست حتمية بيولوجية بل هي ابتكار اجتماعي ينبغي أن يخلي مكانه لابتكار السلام". وإذا كانت مرحلة الحرب الباردة قد طغى عليها الشعار الروماني: "إذا أردت السلام عليك أن تعد للحرب" Si vis pacem, para bellum" فإنه اليوم أصبح من اللازم تغيير الشعار ليصبح:" إذا أردت السلام، فعليك أن تعد للسلم" Si vis pacem, para pacem .

- ز- البحث عن الحقيقة: السعي لمعرفة الحقيقة شرط أساسي للحوار، فالحوار هو اكتشاف الغير واحترامه كما هو وكما يريد أن يكون، ومعرفة الاختلافات والقيم المشتركة للتمكن من التبادل والتفاهم، وكما يقول ميشال لولون:" لحسن الحظ فإن عصر الحروب الدّينية قد انتهى، ولكن عصر الحقد والاحتقار سيستمر ما دامت كل جماعة تنظر إلى الأخرى لا كما هي وكما تريد أن تكون و كما تشعر بوجودها، بل من خلال صورة مشوهة، أول عمل لتحقيق المصالحة الحقيقية بين الجميع هو البحث عن الحقيقة"[19].

إن السعي لمعرفة الحقيقة مسار طويل يتطلب الإرادة والعمل الدؤوب، والبحث عن الحقيقة من شأنه أن يجعلنا نؤمن بتعدد الرؤى وتعقد العالم وبضرورة تجديد مختلف الثقافات لرؤاها ومرتكزاتها حتى نتمكن من خلق حوار ثري وفعال بين مختلف الثقافات والشعوب[20].

-ح- المسؤولية: ينبغي إرساء أخلاقية شمولية تقوم بضبط وإدارة مختلف التحديات التي تهم الجماعة الإنسانية بأكملها، ويمكن الرهان على مبدأ المسؤولية: مسؤولية الأفراد إزاء أنفسهم، إزاء الغير، مسؤولية المجتمع إزاء محيطه الاجتماعي والبيئي ومسؤولية الإنسانية إزاء مصير العالم، ومستقبل الإنسانية. وعبر إحياء مفهوم المسؤولية الإنسانية نحو العالم، يمكن أن نخلق الانسجام الإنساني داخل الحضارة العالمية[21]. ولهذا فإن أي حوار حقيقي بين الثقافات ينبغي أن يجعل غايته مستقبل الإنسانية وضمان حقوق الأجيال المقبلة في السلام والعيش الكريم. وقد صاغ الفيلسوف الألماني هانس يوناس ما يمكن أن نعتبره بيانا للالتزام بالمسؤولية كواجب أخلاقي أساسه: "تصرف بشكل يجعل نتائج فعلك غير تدميرية بالنسبة لإمكانية الحياة مستقبلا، ولا تعرض للخطر شروط بقاء الإنسانية في الأرض"[22].

-ط- التضامن: ينبغي الوعي بوحدة مصير الإنسان ووحدة مصالحه العليا في العالم، وبالتالي تدعيم

أواصر التعاون والتضامن داخل المجتمع العالمي، والحد من سطوة اقتصاد السوق عبر خلق ضوابط لتدجين الليبرالية المتوحشة، وإرساء عولمة مسؤولة ومتضامنة كفيلة بإنقاذ العالم من أصولية التقدم[23].

- القيم المشتركة: ثمة مجموعة قيم إنسانية أساسية مشتركة بين كل الفضاءات الثقافية والدينية في العالم، وينبغي استثمارها والتركيز عليها لتكريس وحدة الإنسانية ووحدة " الجوهر الإنساني". وحسب قول شيخ المتصوفة محيي الدين ابن عربي:" الإنسانية واحدة العين في كل إنسان، وإنما يتفاضل الناس بالمنازل لا بالعين". إن قيما مثل: العدالة، رفض العنف، رفض الظلم، الإيثار، المساواة، التعاون، المحبة... وأحاسيس مثل المعاناة، الألم، الإحباط، الغبن، الرأفة، الرحمة هي جزء من إنسانية كل إنسان. ولذلك فالجوهر الإنساني حاضر في كل التقاليد الثقافية والدينية لكل الشعوب عبر التاريخ الطويل للإنسانية[24].

- إرساء أخلاقية كونية تسعى لخدمة الإنسان والإنسانية بروح مسؤولة متفتحة على العالم وتعقده. ودعا في هذا الإطار عالم اللاهوت الألماني هانز كونغ Hans Kung إلى إنشاء إعلان عالمي للأخلاق على غرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وترتكز هذه الأخلاقية العالمية على ثلاثة أسس:

- لا يمكن للإنسانية العيش والبقاء بدون أخلاقية عالمية،
- لن يكون هناك سلام عالمي بدون سلام بين الأديان،
- لن يكون هناك سلام بين الأديان بدون حوار بينها[25].

ويعتقد كونغ أن استمرارية الإنسانية رهين بوجود روح قيمية مشتركة وكونية Ethos planétaire وكل الديانات الكبرى في العالم تشترك في خمس وصايا للإنسانية :

– لا تقتل، لا تكذب، لا تسرق، لا تزني، احترم الوالدين، وأحب الأبناء[26]، وفي 1993 انعقد بشيكاغو برلمان ديانات العالم، والذي حضره أكثر من مائتي شخصية تمثل مختلف أديان العالم، وتم التوقيع على "إعلان نحو أخلاقية كونية"، ويقوم على البحث عن الحد الأدنى الأخلاقي المشترك بين كل الديانات والفلسفات الإنسانية، وانطلق هذا الإعلان من مبدأين أساسيين :

أ- كل كائن بشري ينبغي معاملته بإنسانية.

ب- كل شخص عليه أن يتصرف إزاء الآخرين كما يتمنى أن يتصرف الآخرون نحوه[27]، والسلام كحاجة إنسانية ينبغي أن يتوخى ليس فقط الحد من العنف المباشر أو البنيوي أو الثقافي، بل خلق الشروط الضرورية لتتحول الصراعات بشكل إيجابي إلى مواقف تعاونية، وذلك عبر الحوار وإدارة الصراعات بشكل يمنح القدرة على التحكم فيها، وضبط سلوك مختلف المعنيين بالصراع، وقد لخص بيان يموسكرو حول " السلام في عقول البشر" بشكل جيد أهم مرتكزات ثقافة السلام:

- السلام هو أساسا احترام الحياة.
- السلام هو أغلى ما يوجد لدى الإنسانية.

- السلام هو أكثر من مجرد نهاية الحروب المسلحة.

- السلام هو سلوك، السلام هو اندماج عميق للكائن الإنساني في مبادئ الحرية، العدالة، المساواة، والتضامن بين كل البشر، السلام هو تزاوج منسجم بين الإنسانية والبيئة .

-إن الرهان على الحس المشترك للإنسانية ووحدة مصيرها لبناء نظام اجتماعي عالمي يحرر الإنسان من استيلاباته ويمنحه الثقة في حاضره ومستقبله، كفيل بأن يؤسس لقواعد الحوار بين الشعوب والحضارات. ويبدو أننا في حاجة إلى إيكولوجيا ثقافية للحفاظ على البيئة الثقافية للشعوب ولإدارة وتدبير مختلف المواقف الصراعية، ولتحويل الثقافة إلى محرك فعال للتنمية وانفتاح الشخصية الإنسانية، ومن أجل هذا يبدو مهما خلق أخلاقية للتواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل بحيث تتفاعل تجارب الماضي مع هموم الحاضر ويتحرر الحاضر من أنانيته الضيقة ليفتح آفاقا للتفكير في المستقبل وفي حقوق الأجيال المقبلة.

4. خاتمة

من خلال هذه المقاربة المفهومية والفكرية لمشروع الأخلاق الإنسانية العالمية والائتمانية في ضوء حوار الأديان، نلحظ العودة القوية لسؤال الأخلاق في عالم تسوده القيم النفعية التي أعطت للعقل سلطان التشريع اللامحدود بلا ضوابط تحفظ للإنسان إنسانيته، كما أنَّ الهزة القيمية التي أحدثتها العولمة، وتحديدًا في علاقة الأخلاق بالدين، موضوع العلمانية باعتباره واقعًا يحاصر المنظومات القيمية المختلفة، ونشددُ على خطورة القيم المادية النفعية السائدة، ونؤكد على ضرورة الدين مصدرًا للقيم من خلال الحوار بين الأديان كمدخل أساسي للفكر الإنساني الفطري الذي يعتبر السلام مبدأ الحياة، ونقترح مشروعًا لإعادة الاعتبار لعلاقة الأخلاق بالدين، فنقول أنه بوسع الديانات أن تعمل في العالم بفاعلية من أجل السَّلام والعدالة الاجتماعية واللاعنف والمحبة، وفي ضوء ما سبق نشير إلى أن وضع شرائع أخلاقية هادية تكون وقائية لا تنحصر في الإنتاج الصناعي فحسب، بل أيضًا في الاختبار والتفكير العلمي، وعليه نستنتج ما يلي:

أ- ركز مشروع الأخلاق العالمية على الجوامع المشتركة بين جميع الأديان منطلقًا من الاعتراف بوجود وكينونة وخصوصية الأديان المختلفة، وعلى هذا الأساس يمكن تقديمه عن طريق الإقناع والحجة والاستدلال كبديل أخلاقي يمكنه أن يخرج العالم من أزماته المعاصرة.

ب- ركز مشروع الأخلاق العالمية على الجوانب العملية التي يمكن الانطلاق منها لنبذ العنف وإقامة الحوار كمشروع الأخلاق العالمية، فقد وجد دعمًا كبيرًا من الدوائر الكنسية والعلمية المختلفة بغض النظر عن المواقف الفكرية منه.

ج- الحوار بين الأديان و حتى الحضارات هو إحدى نتائج العولمة التي فتحت المجتمعات على بعضها البعض، وجعلت الآراء المختلفة معروضة أمام أنظار الجميع. ويتطلّب هذا الوضع الجديد تغييراً جذرياً في العقليات كي تواجه هذا التحدّي، وأول شروط هذا التغيير القدرة على تقبّل الرأي المختلف

مهما بدا بعيداً عن المألوف والسائد. والتقبّل هو غير القبول، لأن الاطلاع على رأي مخالف لا يعني الحكم عليه بالصحة أو الخطأ، فالمعرفة قيمة مطلوبة لذاتها، والحكم مرحلة ثانية تأتي بعد المعرفة، فإذا سبقتها كانت مصادرة على المطلوب وخللاً منهجياً واضحاً.

د- شهد القرن العشرون محاولات دائبة لتفعيل منهج الحوار لإيجاد صيغ جامعة تقلص الهوّة بين الديانات والإيديولوجيات المختلفة، وتضع أرضية مشتركة لقيم أخلاقية إنسانية جامعة تسهم في نبذ العنف وإرساء التعايش السلمي بين الأديان، وقد ظهرت بوادر التفكير في ''أخلاق عالمية'' جامعة في المؤتمر الثاني لـ''برلمان أديان العالم'' الذي أصدر ''إعلان من أجل أخلاق عالمية'' وصاغ مسودته العالم اللاهوتي هانس كينغ الذي أكد من خلاله على ضرورة الحوار لترسيخ العيش المشترك والسلام بين الأديان.

5. قائمة المصادر والمراجع :

- العدوي خ. ب. ر. . (2018). *في فلسفة التنوع الثقافي* (1 ط، م 1). العراق: اجتماع الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب.
- Engelhard, (Philippe). (1996). -, *L'homme mondial, , Arléa, Paris , 1996, p.262.* (1 ط). Paris: , Arléa.
- Michnik, A. (1994). *La foi et la raison, un oecuménisme nécessaire* (2 ط). paris: Le Courrier de L'Unesco.
- Alain, T. (1997). , *Pourrons nous vivre ensemble* (ط، م 2 1). Paris: Fayard.
- Morin, (Edgar. (1987). *Penser l'Europe* (ط، م 2 2). paris: Gallimard.
- خديجة ل. (2020، سبتمبر 15). حوار مع إدغار موران. استرجع في 13 أكتوبر، 2020، من موقع جريدة المعلم الإلكتروني
- Morin, E. (1993). , *Terre/ Patrie* (2 ط). Brigitte: Paris.
- -إدغار م. (1989). *نحو وعي جديد بكوكبنا الأرض* (2 ط، م 2). لا يوجد: لا يوجد.
- (Juan), G. (1999). *Que peut la litterature* (2 ط). Le Monde Diplomatique: لا يوجد.
- Garaudy, . (Roger. (1990). *Integrismes* (1 ط). Paris: no.
- Fisas, (Vicenc. (1997). *Conflictos entre culturas* (ط، م 2 2). El Pais: Conflictos entre culturas.
- (Roger, G. (1977). *Pour un dialogue des civilisations* (2 ط). Paris,: civilisations.
- Mahdi, E. . (1995). *Diversité culturelle: une question de survie* (1 ط). paris: Futuribles,.
- Fernando , S. (1994). *Éthique à l'usage de mon fils* (2 ط). , Paris: seuil.
- Fromm , E. . (1997). *un homme pour lui – même* (ط، م 2 1). Paris: Édition sociales françaises.
- (Levrat , J. (1993). *Du dialogue, horizons méditerranéens* (ط، م 2 2). Casablanca: horizons méditerranéens.
- Lelong (, . M. (1982). *l'islam et l'occident* (3 ط). Paris: , Albin Michel.
- (Hans, J. (1992). *le principe responsabilité: Une éthique pour la civilisation technologique* (ط، م 2 1). Paris: CERF.
- Vaclav), H. (. (1997). *Il est permis d'espérer* (ط، م 2 1). Calman: Calman levy.
- (Umberto, E. (1998). *Entretiens sur la fin des temps,* (ط، م 3 2). , Paris: Fayard.
- (Hans, K. . . (1991). *la paix mondiale par la paix entre les religions, Seuil* (1 1991 .(ط، م 1): Seuil.
- Shayegan, D. (2008). , *La lumière vient de l'Occident* (1 ط). l'Aube, Paris: Le ré enchantement du monde et la pensée nomade.
- Hans Küng, H. (1995). *Karl Josef Kuschel* (ط، م 1 1). Cerf;Paris: , Manifeste pour une éthique planétaire.

6. الهوامش والإحالات :

1 – خميس بن راشد العدوي، في فلسفة التنوع الثقافي (1)، من ورقة ألقيت في اجتماع الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب الذي المنعقد بالعراق خلال الفترة (25–28 يونيو 2018م).

2 - Engelhard (Philippe), L'homme mondial, , Arléa, Paris , 1996, p.262.

3 - Michnik (Adam),"La foi et la raison, un oecuménisme nécessaire", Le Courrier de L'Unesco, décembre 1994, p. 19.

4 - Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble ?, Fayard, Paris, 1997, p.2.

5 - Morin (Edgar), Penser l'Europe , Gallimard,1987.

6 -Morin (Edgar), Kern (Brigitte) , Terre/ Patrie, Paris , seuil. 1993.

7 –حوار مع إدغار موران، جريدة العلم، 1993/10/24.

8 –إدغار موران،"نحو وعي جديد بكوكبنا الأرض"، لوموند ديبلوماتيك، أكتوبر، نوفمبر 1989، ص.15.

9 - Goytisolo (Juan),"Que peut la litterature ?", Le Monde Diplomatique, Novembre 1999, p.28.

10 – Garaudy (Roger), Integrismes, Belfond, Paris, 1990, p.189.

11 –Fisas (Vicenc), "Conflictos entre culturas", El Pais, 27/6/2000, p.16.

12 - Garaudy (Roger), Pour un dialogue des civilisations, de noël, Paris, 1977 ، p. 220.

13 – انظر:

- Elmandjara (Mahdi), "Diversité culturelle: une question de survie. », Futuribles, n° 202, Octobre 1995, pp. 5-15.

14 - Savater (Fernando), Éthique à l'usage de mon fils, seuil, Paris, 1994, p. 133.

15 - Fromm (Erich), un homme pour lui – même, Édition sociales françaises, 1997, p. 171.

16 - Ibid, p. 106.

17 - Voir, Jares (Xesus), Aprender a convivir , Xerais, Vigo, 2001.

18 - Voir, Panikkar (Raimundo), Le dialogue intrareligieux, Aubier,Paris, 1995.

19 - Lelong (Michel), l'islam et l'occident, Albin Michel, Paris, 1982, p . 149.

20 - Levrat (Jacques), Du dialogue, horizons méditerranéens, Casablanca, 1993; pp. 139 – 152.

21 - Havel (Vaclav), Il est permis d'espérer,Calman levy, 1997, p. 70.

22 - Jonas (Hans), le principe responsabilité: Une éthique pour la civilisation technologique, CERF, Paris; 1992, p. 30- 31.

23 - Eco (Umberto), in Entretiens sur la fin des temps,Fayard, Paris, 1998; p. 255.

24 – قام المفكر الإيراني داريوش شايغان والمتخصص في دراسة الحضارات بمقارنة بين مجموعة من التقاليد الصوفية من مختلف الفضاءات الثقافية: المعلم إيكار Eckhart من القرن الثالث عشر، ابن عربي من القرن الثاني عشر، الهندي شامكاراشاريا Shamkarâ châryа (القرن الرابع) والصينيون شوانغ تسو chang tsu ولاوتسو Lao Tseu (قبل التاريخ الميلادي) وتوصل إلى تواجد انسجام وتطابق بنيوي فيما يخص رؤاهم للإنسان والعالم وذلك رغم التباعد الزمني والمكاني فيما بينهم. انظر كتابه:

- Daryush Shayegan , La lumière vient de l'Occident : Le ré enchantement du monde et la pensée nomade, Editions de l'Aube, Paris, 2008.

25 -Kung (Hans), Projet d'éthique planétaire, la paix mondiale par la paix entre les religions, Seuil, Paris, 1991.

26– Ibid, p. 17.

27 - Hans Küng, Karl Josef Kuschel, Manifeste pour une éthique planétaire, Parlement des religions du monde, Cerf, Paris, 1995.